

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة
د. خالد عاشور

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة
في "العائش في الحقيقة"

د. خالد عاشور
دكتوراه النقد الأدبي – مصر

ملخص البحث:

تعتمد الدراسة إلى البحث في تجليات شخصية تاريخية مهمة هي شخصية إخناتون، في أدب نجيب محفوظ. وترصد الدراسة تعلق نجيب محفوظ بشخصية إخناتون عبر مراحل تطوره الأدبي، ومحاولته تصوير هذه الشخصية في عدد من القصص القصيرة والأعمال شبه الروائية، حتى تكتمل رؤيته الفنية في شكل رواية مكتملة هي "العائش في الحقيقة" سنة 1985.

وتطرح الدراسة تساؤلات حول: سر تعلق نجيب محفوظ بهذه الشخصية التاريخية، وكيفية تصويره لها في أعماله، ولماذا عاد إليها بعد أربعين سنة تقريباً في "العائش في الحقيقة"، ولم اختار تقنية تعدد الأصوات في هذه الرواية، وماذا أراد أن يقول عبر هذه الشخصية التاريخية المثيرة للجدل؟

الكلمات المفتاحية

نجيب محفوظ، العائش في الحقيقة، الرواية المتعددة الأصوات، مراحل الإبداع الروائي، الباحث عن الحقيقة، القصة القصيرة، إخناتون، الفرعون المارق.

abstract

The study aims to analyse an important historical figure, Akhenaten, in the literature of Naguib Mahfouz. The study monitors Naguib Mahfouz's attraction to the personality of Akhenaten through the stages of his literary development, and his attempt to literary depiction in this character in a number of short stories and semi-fictional works, until his important completed novel: "Alaesh fil haqiqa" ("Akhenaten dweller in truth") In 1985.

The study raises questions about: the secret of Naguib Mahfouz's attraction to this historical figure, how he depicted it in his works, and why he returned to it after nearly forty years in "Alaesh fil haqiqa", and why he chose the technique of polyphonic novel, and what he wanted to say through this Controversial historical figure?

key words:

Naguib Mahfouz - dweller in truth - The polyphonic novel - Stages of novel creativity - Truth investigator - Short story – Akhenaton - The false prophet

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

تمهيد:

لنجيب محفوظ غرام بالتاريخ الفرعوني، ولكن له إختاناتون غراماً خاصاً. أما غرامه بالتاريخ الفرعوني، فدفعه لإنتاج ثلاث روايات شهيرة في بداية مشواره الفني: (عبث الأقدار 1939، رادوبيس 1943، كفاح طيبة 1944).

ولا شك أن محفوظ كان سيُعرّج علي الشخصية الفرعونية الأثيرة لديه وهي "إختاناتون" لولا أنه تحوّل فنياً من استلهم التاريخ إلي استلهم الواقع، في المرحلة الفنية التالية، والتي يصطلح النقاد علي تسميتها بالمرحلة الواقعية بدءاً من "بداية ونهاية" وما تلاها من أعمال. وأعتقد أن ما قاله محفوظ لرجاء النقاش حول هذا الأمر جدير بالتوقف عنده لأنه ذو دلالة علي تطوره الفني في تناول تلك الشخصية.

يقول: "عندما كتبت الروايات الفرعونية الثلاث في بداية رحلتي مع الأدب كان في نيتي أن أواصل السلسلة وأكتب التاريخ الفرعوني كله بنفس الطريقة.. ولما حدث التحول ولم أواصل العمل في هذا الاتجاه، بقيت في وجداني شخصية "إختاناتون" بكل ما تحمله من ثراء وغموض.

وبعد سنوات طويلة وقع في يدي كتاب باللغة الفرنسية عن إختاناتون يتضمن آراء غريبة ومتناقضة لم أسمع بها من قبل. أثار هذا الكتاب ما أحمله في وجداني من تقدير لهذه الشخصية، وقررت التوقف عند "إختاناتون" والكتابة عنه، فجاءت رواية "العائش في الحقيقة" لا تتضمن رؤية درامية بقدر ما هي عرض لوجهات النظر المختلفة في هذه الشخصية التاريخية المثيرة، خاصة أنني أضفت للرواية شخصيات من صنع خيالي ليس لها أصل تاريخي.

و"إختاناتون" كما تصوّرته هو شخصية سابقة لعصرها، مثيرة للتعاطف معها، مُضحكة في سبيل فكرتها وما تؤمن به من مبادئ، فهو رجل يدعو إلي السلام والتوحيد في عصر كان يرفض هذه الأفكار. ومن الثابت تاريخياً أن الكهنة هم الذين تآمروا عليه ليُقضوا علي أفكاره التي كانت تمثل خطراً شديداً علي مصالحهم ونفوذهم. ومن خلال قراءاتي للتاريخ الفرعوني لفتت نظري ملاحظة مهمة، وهي أن سيطرة الكهنة علي الحكم كانت تشتد وتظهر أكثر وضوحاً في فترات الضعف التي تمر بها البلاد، وكان حكمهم مرتبطاً دائماً بالتدهور وانتشار الفساد".⁽¹⁾

لقد كان إختاناتون بالنسبة للكاتب - في ضوء هذا الكلام- "حالة" من الغموض والتقنع والتخفي والحقيقة الغائبة، معادلاً موضوعياً لكل هذه المعاني، فضلاً عما أثارته هذه الشخصية في نفسه من إعجاب وتعاطف، أسهم في ذلك: التضارب الشديد الذي أحاط بهذه الشخصية، وعدم القطع فيها بيقين ثابت، فقد

⁽¹⁾ رجاء النقاش: نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته. الطبعة الأولى. مركز الأهرام للترجمة والنشر.

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة

د. خالد عاشور

قيل فيه – تاريخياً – الشيء وضده، رفعه البعض إلى درجات الأنبياء والمبشرين والمفكرين والمُجَدِّدين، وانحط به البعض الآخر إلى دركات الشذوذ والهرطقة والجنون والكفر.⁽¹⁾

ولعل ذلك ما جعل إخناتون في نظر محفوظ لغزاً ينبغي حلُّه، فنياً. وهو ما يفسر لنا: لماذا لم يترك الكاتب هذه الشخصية، منذ كتابته الروايات الفرعونية في الثلاثينيات والأربعينيات، حتي الثمانينيات عندما كتب روايته "العائش في الحقيقة"؟ فلقد عرَّج علي إخناتون مستلهماً شخصيته في أكثر من عمل بين قصة ورواية:

فهناك قصة قصيرة بعنوان: "صوت من العالم الآخر" ضمَّتها المجموعة القصصية "همس الجنون" التي نُشرت في الأربعينيات⁽²⁾. وهناك قصة أخرى بعنوان: "السماء السابعة" ضمَّتها مجموعته القصصية "الحب فوق هضبة الهرم" (1979). وهناك حواريته المعروفة باسم "أمام العرش" (1983)؛ كل هذه الأعمال تعرضت لشخصية "إخناتون".

صوت من العالم الآخر:

يأتي ذكر "إخناتون" في هذه القصة علي نحو هامشي عارض.

إذ يتحدث موضوعها عن رحلة رجل من العصر الفرعوني إلي العالم الآخر منذ أن ينام مريضاً مرض موته، فتقبض روحه ويموت ويوضع للتحنيط، حتي يوسَّد قبره. وتطير روحه خلال كل ذلك هائمة ترقب العالم الأرضي وتطلّع علي ما في عقول الناس ممن كانوا معه في الدنيا وقلوبهم، وتزول من أمامها الحُجُب فترصد المستقبل القريب والبعيد.

أما الذي يُطلعنا علي تلك الرحلة العجيبة والغريبة فهو الميث نفسه "توتي" كاتب الأمير والمقرب منه. ولأن مهنته هي الكتابة فقد أمسك بالقلم الذي أودع معه في مقبرته مع بقية أشيائه وأمتعته. وقد عُثر علي مخطوطة بوصف هذه الرحلة في مقبرته.

لا نستطيع بدقة تحديد الحقبة الزمنية التي عاش فيها الكاتب "توتي" بطل القصة، لكن هناك إشارات تعين علي ذلك؛ فروحه الطليقة حين تذهب تزور صديقه الأمير يجد القصر قد استعد ليستقبل فرعون

⁽¹⁾Weigall, Arthur Edward Pearse: A short history of ancient Egypt, London, 1934, P.128

⁽²⁾من الأخطاء الشائعة فيما يتصل بمراحل الإبداع عند نجيب محفوظ ما يتعلق بهذه المجموعة القصصية "همس الجنون" حيث تشير كل البيبليوجرافيا الموضوعية حول أعمال الكاتب إلي تاريخ نشر واحد هو 1938، باعتبارها أول أعمال الكاتب المنشورة. وهو أمر ينفية تاريخ نشر قصص المجموعة، وبقية القصص المنشورة في تلك الفترة (من 1932 حتى 1946) مما لم تُجمع في مجموعات قصصية. وهو ما يرجح انقطاع الصلة بين المجموعة وتاريخ نشرها الشائع. كما ينفى ذلك أيضاً نجيب محفوظ نفسه حيث ينقل عنه عبد المحسن طه بدر أن هذا التاريخ المنسوب لـ "همس الجنون" هو نوع من التحديد لمستواها الفني بالمقارنة بإنتاجه، ولكنه لا يمثل تاريخ نشرها الحقيقي. (انظر: كتاب الرؤية والأداة ص 74) ويثبت حمدي السكوت شيئاً قريباً من هذا حيث يذكر نقلاً عن الكاتب أيضاً أن هذه المجموعة لم تنشر إطلاقاً في سنة 1938، وإنما نشرت لأول مرة في سنة 1947، وأن حكاية ظهورها في سنة 1938 إنما هي تصرف شخصي للناشر. (انظر دراسات في الأدب والنقد ص 103) كذلك يُثبت علي شلش أن المتابعات النقدية والتتويجات الصحفية حول المجموعة تعود إلى عام 1948 (انظر: الطريق والصدى. ص 166). وقد قال نجيب محفوظ نفسه إن المجموعة صدرت بعد ظهور "زقاق المدق" أي بعد 1947 (انظر جمال الغيطاني: نجيب محفوظ يتذكر ص 77) وبذلك يصبح أول عمل إبداعي منشور لنجيب محفوظ هو "عبث الأقدار" 1939.

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

رسول الحثيين لتوقيع معاهدة الصلح والسلام. ومعروف أن هذه المعاهدة أبرمت في عصر الرعامسة، أي بعد عهد إخناتون.

ومن هنا تأتي الإشارة السريعة في هذه القصة لإخناتون، حيث تنتقل هذه الروح بين النبلاء والقواد في القصر الفرعوني، تتسمّع ما تجيش به الصدور وما تهجس به العقول: "وتولت الحيرة صدرًا كبيراً فجعل يقول لصاحبه: قال إخناتون: إن الرب هو آتون. وقال حور محب: إنه آمون. وهناك قوم يعبدون رع فلماذا يتركنا الرب في شقاق؟"⁽¹⁾

وهي فقرة تشير إلى أن دعوة إخناتون ما زال أثرها في نفوس الناس باقياً، ويحتل جانباً من الجدل بينهم علي الرغم من تطاول العهد بعدها؛ فقد جاء حكم الرعامسة بعد فترة بعيدة من حكم إخناتون. لكن ذلك الأثر ظل من بعده حبيس الصدور والنفوس، تقوله الناس همساً لا جهرًا، فالحديث الذي اطلع عليه الكاتب "توتي" عن عبادة "آتون" و"آمون" وحيرة الناس بينهما وشقاقهم جرّاء ذلك؛ إنما هو حديث النفوس وهمس الصدور ليس إلا. وهو ملمح يستند لأساس تاريخي، إذ من الثابت أن الرعامسة كانوا من أكثر خلفاء إخناتون عداوة لمذهبه، وطمساً لمعالمه⁽²⁾.

السماء السابعة:

تنتهي هذه القصة إلى مجموعة "الحب فوق هضبة الهرم" المنشورة عام 1979. ورغم ذلك فهي ليست مقطوعة الصلة بالقصة السابقة "صوت من العالم الآخر" المنشورة في الأربعينيات تقريباً؛ فموضوعهما واحد: وهو الرحلة المتخيلة إلى العالم الآخر.

وهي تنوعات قصصية يوقّعها نجيب محفوظ علي الأعمال الرائدة في هذا المجال مثل: رسالة الغفران للمعري، والكوميديا الإلهية لدانتي.

يذهب رءوف عبد ربه إلى العالم الآخر بعد أن يقتله صديق عمره عانوس ابن المعلم قدري الجزار، طاغية الحارة؛ وذلك طمعاً في خطيبته رشيدة. وحينما يصعد رءوف إلي السماء الأولي يقابل الكاهن "أبو" الذي كان كاهناً لطيبة، ويفهمه أن هذه السماء تستقبل الوافدين الجدد، حيث يحاكمون فيها ويتولي هو الدفاع عنهم. والأحكام تتراوح بين:

الإعدام: الذي يعني أن يولد من جديد في الأرض ليمارس الحياة مرة أخرى لعله يلقي قدراً أكثر من النجاح، والبراءة: وهي التي تؤهله للصعود إلي السماء الثانية. أما ما بين البراءة والإعدام فيُقضي علي المتهم عادة بأن يعمل مرشداً روحياً لشخص أو أكثر في الأرض، ويكون صعوده إلي السماء الثانية رهناً بتوقيفه أو تمتد مدة تجربته.

(1) نجيب محفوظ : مجموعة همس الجنون مكتبة مصر - القاهرة بدون تاريخ ص 317

(2) ينظر في هذا : د. أحمد بدوي : في موكب الشمس. الجزء الثاني - الطبعة الأولى - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1950 ص 345

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة
د. خالد عاشور

ووفق هذا القانون تسير أحداث القصة في أجواء غرائبية نظراً لطبيعة موضوعها، الذي يتسع مع الكاتب لتحميله بألوان من الإسقاط السياسي .

فحين يقضي "أبو" علي رءوف بعد محاكمته أن تنزل روحه إلى الأرض علي سبيل الاختبار كمرشد روجي لشخصية قاتله عانوس؛ يبقيه بجانبه - تأهيلاً له لمهمته - وهو يستقبل المرشدين الذين قُضي عليهم بأحكام مماثلة.

ولننظر إلي الحوار التالي:

"وقال له رءوف:

- أود أن أري أدولف هتلر، هل يجيء الآن؟

- لقد قضي عليه بالإعدام فولد في حارتكم من جديد وطالما رأيته:

- هتلر؟

- هو المعلم قدري الجزار

- فصمت رءوف ملياً من الدهشة ثم تساءل:

- إذن فمن يكون شيخ الحارة شاكر الدرزي؟

- لورد بلفور!

- والشيخ عاشور الولي الكذاب؟

- إنه خنفس خائن الثورة العربية.

- أراهم لا يتغيرون ولم يستفيدوا من إعادة التجربة.

- ليس الحال كذلك دائماً. أتدري من تكون أمك؟

- إنها ملاك يا أبو.

- ما هي إلا ريا السفاحة المشهورة، فانظر كم تقدمت!

فذهل رءوف وصمت علي حين استقبل أبو أول الوافدين.

قال الوافد:

- إني أبذل أقصي ما أستطيع.

فقال أبو:

- أعلم ذلك ولكن يلزمك مضاعفة الجهد فقد آن لك أن تصعد!

ولما اختفي الوافد قال رءوف:

- إني أعرفه جيداً أليس هو إخناتون؟

- هو عينه، إنه سيء الحظ فطال مقامه آلاف السنين.

- ولكنه أول من بشر بالله الأحد!

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

- هذا حق ولكنه فرض إلهه علي الناس بالقوة لا بالهداية والإقناع فتيسر لأعدائه من بعده أن ينتزعه من القلوب بالقوة، ولولا صفاء سريرته لقضي عليه بالإعدام.
- ولم طال به المقام هذا الدهر؟
- لم يوفق مع أحد ممن ندب لإرشادهم مثل فرعون موسي والحاكم بأمر الله وعباس الأول.
- ومن رجله اليوم؟
- كميل شمعون!
- وجاء الوافد الثاني، قدم تقريراً، تلقَّى كلمات مشجعة ثم اختفي.
- عند ذاك قال رءوف:
- إنه الرئيس ويلسون!
- أجل
- حسبته من القلة السعيدة التي صعدت إلي السماء الثانية.
- أنت تشير بلا شك إلي مبادئه السامية ولكنك نسيت أنه لم يستغل قوة أمريكا في تنفيذها، بل إنه اعترف بالحماية علي مصر.
- ومن رجله؟
- الأستاذ توفيق الحكيم!⁽¹⁾
- في هذه الأجواء الفلسفية والفكرية تدور أحداث القصة، التي يغلب عليها الحوار ذو الطابع المنطقي. وهي أحداث تتسم بالجفاف رغم الدرامية التي حاول الكاتب أن يضفيها عليها.
- والمعاني الفلسفية التي يرمي إليها الكاتب من وراء قصته، تعطي نفسها للقارئ بسهولة، وهي أن أخطاء البشرية سلسلة متصلة لم تنقطع في هذا العالم، وأن الوصول إلي الجنة (السماء السابعة) دونه مشوار طويل من الجهاد الشاق في مدارج التطهر والتأهل لتلك المنزل السامية. وهذا المشوار تُختبر خلاله حرية الإنسان وقدراته والصراع المحتدم داخله بين الخير والشر... إلخ هذه المعاني
- هذه فضلاً عما ضمَّته الكاتب من إسقاطات سياسية متعلقة بشخصيات تاريخية، كان تصنيفها من خلال محاكمات "أبو" بمثابة إصدار أحكام علي تجربتها في الحياة وهو السياق الذي جاء فيه الحكم علي إخناتون. فقد قُضي عليه - مع زعماء وشخصيات أخرى - أن يبقى في السماء الأولى ولا يصعد للسماء الثانية (لم يصعد سوي سعد زغلول ومصطفى النحاس)؛ وذلك بسبب نهجه القوة وليس الهداية والإقناع في فرض دعوته، مما يسَّر لأعدائه أن ينتزعه من القلوب بالقوة. وما ذكره نجيب محفوظ مأخُذٌ تاريخي معروف علي

(1) نجيب محفوظ: الحب فوق هضبة الهرم - مكتبة مصر القاهرة - بدون تاريخ ص 117

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

دعوة إخناتون. والقصة تذكر لإخناتون - رغم ذلك - علي لسان "أبو" نقاء سريرته وسلامة مقصده، ولكنه "سيء الحظ" وهي السمة الأبرز لدعوة إخناتون تاريخياً. ويأتي ذكر إخناتون مرة ثانية وأخيرة في القصة حينما يتعب رءوف في مهمته مع عانوس، فيصعد إلي "أبو":

"ولما صعد رءوف إلي السماء الأولي وجد أبو منهمكاً في الحديث مع إخناتون، وكان إخناتون يقول:

- كلما قلت له يمينك أخذ يساره!

فقال له أبو:

- استعمل قواك كما يجب.

- ينقصنا استغلال القوة المادية.

فهتف أبو:

- ألا ترغب في الصعود؟ المسألة أنك لم تعد المناقشة والإقناع ولكنك ألفت إصدار الأوامر⁽¹⁾.

وهو مأخذ يتسق أيضاً مع المأخذ السابق، فإخناتون أراد أن ينشر دعوته من علي إصدار الأوامر من مقعده كفرعون. فهو لا يعرف ولا يجيد أسلوب المناقشة والإقناع. وهو ما جعل مهمته الأخروية في السماء الأولي تطول، وهو أيضاً ما جعل مهمته الدنيوية علي الأرض تبوء بالفشل.

أمام العرش:

هل من باب المصادفة أن يكون ثالث أعمال نجيب محفوظ تناولاً لشخصية إخناتون، يدور أحداثه في عالم غيبي مفترض فنياً؟

فبعد "صوت من العالم الآخر" و"السماء السابعة"، يأتي "أمام العرش"⁽²⁾ متحدثاً عن العالم الآخر من خلال محاكمة تدور هناك لحكام مصر من لدن "ميناء" موحد القطرين حتى "أنور السادات" مروراً بكل من حكم مصر حتى في عهود الاحتلال شرط أن يكون مصرياً.

فبعد عصور الفراعنة المتعاقبة، يقف أمام المحكمة المصريون الذين وُلُّوا من قبل الحكام المستعمرين، وصولاً إلى العصر الحديث. لذا فالكتاب يقدم لقارئه ملخصاً تاريخياً لكل حكام مصر عبر التاريخ القديم والحديث، في أسلوب قصصي ممتع، لا يبعث علي الملل الذي قد يشعر به قارئ التاريخ أحياناً.

(1) السابق ص 123

(2) "أمام العرش" عمل يستعصي علي التصنيف في ضوء الحدود النوعية لكل جنس أدبي (رواية أو مسرحية أو قصة). فهو عمل يصعب أن يوصف بأنه "رواية" وإنما هو أقرب إلى "عمل تاريخي مكتوب بلغة قصصية"، وربما طاب لبعض النقاد أن يطلق عليه: "حوارية" وهو تصنيف وتوصيف

أقرب إلى طبيعة العمل من حيث شكله الفني. يُنظر في هذا: خالد عاشور - أقتعة نجيب محفوظ - سلسلة كتاب اليوم - القاهرة 2011 ص 109.

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

والمحاكمة تنعقد أمام "أوزوريس" إله الموتى عند الفراعنة، بحضور "تحوت" كاتب الآلهة الذي عليه تسجيل وقائع المحاكمة، وبحضور "إيزيس" التي تقوم أحياناً بدور الدفاع عن المحاكمين من حكام مصر. وعند المحاكمة يقوم الكاتب تحوت بقراءة ملخص لحياة الحاكم، ثم يُسمح له بالحديث عن نفسه، وتوجه له بعض الأسئلة والتي غالباً ما تكون مثار جدل متعلق بفترة حكمه. والذي يوجه له هذه الأسئلة هو "أوزوريس" نفسه وأحياناً أحد الحكام الذن تمت محاكمتهم ثم حُكم عليهم بأنهم في مصاف الخالدين، فاصطفوا يستمعون لبقية المحاكمات.

قبل أن يجيء الدور على إخناتون، يرد ذكره في محاكمة الملكة "تي"، حيث تقول: "وهُرع إليّ الكهنة في إبان الأزمة الدينية التي استفحل أمرها بسبب دعوة ابني إخناتون، وقد بذلت أقصى جهدي لتجنب الكارثة، ومنع الحرب الأهلية"⁽¹⁾.

وعندما يجيء الدور على إخناتون تقول الحوارية:

"وهتف حورس:

-الملك إخناتون والملكة نفرتيتي.

فدخل رجل تختلط الذكورة والأنوثة في قسَمات وجهه، وامرأة جميلة، فتقدما في كفنيهما حتي مثلاً أمام العرش.

وقرأ تحوت كاتب الآلهة:

ورثا العرش والحكم شريكين في القيام بالأمانة، فجر ثورة دينية فدعا إلي عبادة إله جديد واحد، وألغي الدين القديم وآلهته، وبشر بالحب والسلام والمساواة بين البشر، تعرضت البلاد في الداخل للانحلال والفساد، كما تعرضت الإمبراطورية للتمزق والضياع، ومضت الأرض إلي حافة الحرب الأهلية فسقط الملك، وقضت ثورة مضادة علي ثورته، ومحق المؤرخون والملوك عهده من التاريخ واعتبروه شر عهد انقضَّ علي حضارة مصر فأوشك أن يبيدها".

وحين يُسمح لإخناتون بالحديث يقول:

"منذ الصغر وأنا مواظب علي ملء روعي بالمعرفة والحكمة الإلهية، حتي هبط علي قلبي وحي السماء بنور الإله الواحد والدعوة إلي عبادته، وكرست حياتي لذلك، ثم كرس عرشي لما وليت العرش لخدمة نفس الهدف. وسرعان ما قام صراع وحشي بين دعوتي النورانية وبين ظلمات الجهل والتقاليد وأطماع الكهنة والحكام الظالمين إلي الجاه واستعباد الفلاحين ورعايا أمم الإمبراطورية، ولم يتسلل الضعف قط إلي جهادي الروحي، ولم أرض باستعمال العنف أو القهر، وذقت النصر أعواماً فنشر الخير جناحيه، ولكن انعقدت

⁽¹⁾نجيب محفوظ: أمام العرش - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ ص70

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

سحب المكائد والدسائس، وزحفت جيوش الظلام فتهأويت بلا حول وحلّت بي الهزيمة ولكن ثقّتي في النصر النهائي لم تزعزع قط، فلم يعرف ملك حياة أسمي من حياتي ولا مُني بنهاية أتعس من نهايتي⁽¹⁾.
أما الأسئلة التي سيواجهها إخناتون من الحكام السابقين، فكانت حيلة فنية ذكية من الكاتب لكي يورد على ألسنتهم مأخذ التاريخ، ومأخذه هو على هذه الشخصية، ومواطن النقد الذي وجّه إليها، بما يتسق أيضاً مع الطبيعة التاريخية لكل شخصية. ومجمل ذلك النقد الذي يوجه إلى إخناتون متعلق بطبيعته الشخصية التي تميل إلى الدعة والسلم، وعدم الميل إلى العنف والقوة في حماية دعوته.
ولننظر في هذا الحوار الذي يدور بين إخناتون - خلال المحاكمة - وبين مجموعة من الحكام السابقين عليه:

"فقال إخناتون:

- لولا المغرضون لثم الخلاص لمن نحب.

فسأله أبنوم:

- وماذا فعلت بالمغرضين ؟

- عاهدت نفسي منذ البدء علي التعامل بالحسني ونبتذ الإيذاء والقهر.

فقال أبنوم:

- ليس للأشرار إلا العصا والسيف!

فقال إخناتون:

أمنت بالحب للعدو والصديق.

فقال أبنوم:

- لقد ضيعت رسالتك بسذاجتك وليس رجل الخير إلا مقاتلاً!

فقال تحتمس الثالث:

- لقد تركت لك أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ فكيف ضاعت في عهدك وتحت إمرتك جيش لا مثيل

لقوته ؟

فقال إخناتون:

- كان مبدئي الحب والسلام..

- زدني شرحاً من فضلك.

- كنت أدعو لإله واحد هو الأب والأم لجميع البشر فكلهم يتساوون تحت مظلتها، وكنت أدعو إلي أن

يحل الحب محل السيوف بين الناس..

(1) أمام العرش ص 49

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة
د. خالد عاشور

فقال تحتبس بغضب:

- طبعي أن تضيع الإمبراطورية نتيجة لهذا الأسلوب من التفكير، ما أنت إلا مجنون!

فقال أوزوريس:

- لا أسمح بتجاوز حدود الأدب في الخطاب. اعتذر.

فقال تحتبس الثالث:

- معذرة ولكني أسجل أسفي علي ضياع عمري هدرًا.

وقال الملك مينا:

- لقد قامت وحدة مصر علي السيف وتل من الجماجم، وعلي نفس الأساس كان يجب أن تقوم وحدة

الإمبراطورية، ولكن سوء الحظ سلط علينا عدوًا اسمه الأفكار فغزانا من الداخل وعبث بمجدنا أيما عبث..

فقال إخناتون:

- لا جدوي من مناقشتكم، فالمسألة بكل بساطة أنني سمعت صوت الإله، وأن تلك النعمة الإلهية لم

تحل بكم".

أما تعليقات إخناتون ومدخلاته مع الحكام اللاحقين له، فلا تخلو من طرافة؛ إذ يجعلها الكاتب فرصة

للإسقاط مرة، ولإنصاف إخناتون مرة أخرى، ومرة ثالثة لعتاب مُتخيل بين إخناتون وبين من تنكّر لدعوته

من بعده مثل "حور محب" و"آي" وغيرهما.

فحين يعاتب حور محب قائلاً له إنك تنكرت لي ولدعوتي من بعدى، يرد قائلاً: "لا أنكر مما قلت شيئاً،

وقد أحببتك أكثر من أي رجل عرفته ولكني أحببت مصر أكثر".

وحين يُدين إخناتون رمسيس الثاني بسبب اغتصابه الملك من أخيه، قائلاً له لمّ لمّ تلتزم بالقانون

والمثل مثلي، رد عليه قائلاً: "بل كنت كارثة حلت بالوطن والإمبراطورية".

وحين يسأل خوفو المقوقس عن الدين الجديد الذي جاء به العرب إلى مصر والفرق بينه وبين ديننا

القديم، يقول له: إنهم كانوا يؤكدون علي وحدانية الإله. فإذا بإخناتون يصيح:

"هذا ديني وهذا إلهي، طالما آمنت بأني سأنتصر في النهاية، خيّرني كيف استقبل الناس هذا الدين؟". في

إشارة إلي اتصال دعوة إخناتون إلي الوحدانية بدعوة الإسلام، الذي يعتبره انتصاراً لدعوته.

ويقول في محاكمة أخرى لإثناسيوس: "ولكني أعجب كيف اهتدي العرب إلي إلهي بينما نبذه قومي جيلاً

بعد جيل".

ويقول لعلي بك الكبير حول استقلاله عن الدولة العثمانية: "ألا يعتبر استقلالك بمصر تمزيقاً لوحدة

الإسلام دين الإله الواحد؟"

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

ويقول لأحمد عرابي متعاطفاً: "إنك رجل طيب القلب فجرت عليك النهاية المقدرة للقلوب الطيبة"، وكذلك يبدي إعجابه بمصطفى النحاس وبتفانيه وإخلاصه مثله في سبيل المبادئ الطاهرة، رغم جحود الناس له وتنكرهم له.

أما أنور السادات فيقول له: "أحييك كداعية من دعاة السلام، ولا أدهش لانتهاك خصومك لك بالخيانة فقد تلقيت منهم نفس التهمة لذات السبب".

خلاصة:

إذن: وكأن هذه الأعمال السابقة التي التفت فيها نجيب محفوظ إلى إختاتون التفاتات متعددة، تتفاوت بين القصة القصيرة (صوت من العالم الآخر)، والقصة الطويلة (السما السابعة)، والحوارية القصصية (أمام العرش)؛ وكأن هذه الأعمال تعبير واضح عن مدي الإلحاح الفني الذي كانت تمارسه هذه الشخصية علي عقل ووجدان محفوظ، إلحاح لم يستطع الفكاه منه.

ولعل في هذا إجابة عن سؤال يطرحه نقاد نجيب محفوظ دائماً: لماذا عاد نجيب محفوظ إلى إختاتون بعد أربعين عاماً؟⁽¹⁾

والحق أن الرجل لم يترك إختاتون حتي يعود إليه، فقد كانت هذه الشخصية تشغله وتشاغله طوال تلك الأربعين عاماً، لا يترك فرصة إلا ويكتب عنها "شيئاً" ويقرأ أشياء. كان إختاتون مشروعاً مؤجلاً لمحفوظ، يختمر داخله حتي تشكّل هذا المشروع المُلح أخيراً في شكل رواية هي الأهم لنجيب محفوظ عن ذلك الفرعون، وهي "العائش في الحقيقة" 1985.

العائش في الحقيقة:

تعود أهمية "العائش في الحقيقة" كما سبق إلى كونها الرواية الأولى لمحفوظ عن إختاتون، بعد أن لمسها لمساً رقيقاً في عدد من الأعمال القصصية عرضنا لها سابقاً. كما تعود أهميتها إلى أن محفوظ كتب هذه الرواية سنة 1985 وهو في ختام مشواره الروائي تقريباً؛ إذ لم يكتب بعدها إلا روايتين: "يوم قتل الزعيم" 1985، "حديث الصباح والمساء" 1987، وبها اختتم عطائه الروائي، فلم يكتب بعدها إلا القصة القصيرة. بما يعني أن الرجل كتب "العائش في الحقيقة" بعد أن تقلب في أكثر من مرحلة أدبية، وعبر عدداً كبيراً من التجارب الفنية.

وذلك هو ما دفعه في ظني إلى أن يبحث عن قالب جديد يضع فيه قصة تُعد من المآسي الخالدة في التاريخ الإنساني.

⁽¹⁾ فيصل دراج: لماذا عاد نجيب محفوظ إلى إختاتون بعد أربعين عاماً؟ مجلة فصول - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - العدد الرابع ديسمبر 2011 ص 243

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة

د. خالد عاشور

فقد عاد الكاتب إلى تقنية فنية معروفة هي "السرد متعدد الأصوات". وهي تقنية كان قد جرّبها في أعمال سابقة: "ميرامار" 1966، "أفراح القبة" 1981، "الكرنك" 1974.

ولكنه حين عاد يستخدمها في "العائش في الحقيقة"، استخدمها بأسلوب مختلف. فالتقنية تعتمد علي أكثر من راوٍ تُروى الأحداث من وجهة نظرهم علي نحو مباشر. وبعيونهم نري سُرّ الأحداث كما تراها هي ونحكم علي المواقف، ونقيم الشخصيات من خلالها.

تعدد مستويات السرد:

ولكننا في هذه الرواية نجد - تحت عنوان "أصل الحكاية" - شخصية "مري مون" الراوي للأحداث، وهي شخصية تنتهي تاريخياً إلى العصر الذي تلا مأساة إخناتون مباشرة.

يري "مري مون" مدينة "أخيتأتون" أو ما تبقي منها أثناء إبحار السفينة به، فيسأل أباه عنها فيجيبه: "إنها مدينة المارق، المدينة الكافرة الملعونة يا مري مون"⁽¹⁾.

فتعود به الذاكرة إلى أيام الصبا في قصر أبيه وحوار الكبار المحموم حول "الإعصار الذي أطاح بأرض مصر، والإمبراطورية، وما سموه بحرب الآلهة، وفرعون الشاب الذي مزق التراث والتقاليد وتحدي الكهنة والقدر"⁽²⁾.

ومن ثم يعقد العزم علي معرفة الحقيقة، فيلتمس من أبيه أن يكتب له خطابات توصية إلى الأطراف التي كانت شاهدة عيان لما حدث، ويذهب إليهم مسجلاً شهاداتهم. وهم أربع عشرة شخصية: كاهن آمون، "آي" معلمه وصهره، "حور محب" صديقه وقائد جيشه، "بك" المثال، "نادو خيبا" زوجة أبيه وابنة الملك توشراتا ملك ميتاني، "توتو" أحد كهان آمون، "تي" مربية نفرتيتي وزوجة أبيها، "موت نجمت" أخت نفرتيتي، "مري رع" صديق إخناتون وكاهن آتون، "ماي" قائد الحدود، "محو" كبير الشرطة، "ناخت" صديق إخناتون، "بنتو" الطبيب الخاص، "نفرتيتي".

وهذه هي عناوين فصول الرواية، كما أنها الشخصيات التي ستتولي مهمة سرد الأحداث من وجهة نظرها. وبعين كل واحد منها نري الأحداث والشخصيات والمواقف رؤية مختلفة أو متباينة، سرداً وحكماً.

إذن فنحن لدينا في هذه الرواية أكثر من مستوي من مستويات السرد:

مستوي أول: يمثله الكاتب نفسه، وهو يروي لنا حكاية "مري مون" وكيف جاءت له فكرة "تجميع" أطراف القصة من شهودها.

المستوي الثاني: من مستويات السرد، يمثله "مري مون" وهو يقوم بدور الراوي لمهمته التي شرع فيها حين رأي بقايا "أخيتأتون" وسأل أباه، ثم ذهب لكل واحد منهم... الخ.

⁽¹⁾ نجيب محفوظ: العائش في الحقيقة - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ ص 5

⁽²⁾ السابق ص 6

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

أما المستوي الثالث: فيمثله كل واحد ممن سيتولي مهمة رواية الأحداث من وجهة نظره، من الشخصيات التي أشرنا إلي أسمائها.

كما أن لدينا - تبعاً لذلك - ثلاثة رواة للأحداث :

الراوي الأول: هو نجيب محفوظ نفسه، فهو الراوي الغائب. موقعه (من حيث مستوي السرد) خارج الحكاية الرئيسية التي يرويها، وخارج كل حكاية ستُروى علي لسان الشخصيات، لأنه ليس واحداً من هذه الشخصيات. وخطاب الراوي هنا موجه إلي المروي له وهو القارئ في هذه الحالة.

الراوي الثاني: هو "مري مون". موقعه (من حيث مستوي السرد) داخل الحكاية الرئيسية لأنه أحد شخصياتها، وهو لا ينتهي إلي الحكاية التي يرويها لأنه لا يروي سيرته، فهو ينتهي إلي الحكاية الرئيسية التي لا يرويها (أصل الحكاية)، ويروي الحكايات الثانوية التي لا ينتهي إليها (حكاية نفرتيتي، وحمور محب، وبك، وغيرهم).

الراوي الثالث: هو كل شخصية من أطراف القصة. موقع كل واحد منهم (من حيث مستوي السرد) داخل داخل الحكاية أي داخل الحكاية الثانوية وينتهي إلي الحكاية التي يرويها لأنها سيرته وهو أحد شخصياتها. وأحياناً تتفرع من حكايات الراوي الثالث حكاية داخل الحكاية من خلال راوٍ رابع: مثلما في الفصل الخاص بالحكيم أي حيث نجد حكاية يحكيها راوٍ آخر، هو إخناتون عن مقابلته لأبيه بتفاصيلها وبضمير المتكلم، وبعدها نعود للحكيم أي الذي هو الراوي الثالث ليستأنف روايته للأحداث.

ويعتمد الكاتب في سرده للأحداث علي لسان الراوي الثاني: "مري مون"، والراوي الثالث: كل شخصيات القصة؛ علي ضمير المتكلم لأنه الأنسب في هذه الحال. فبؤرة الأحداث تتبدل تبعاً لموقع كل راوٍ. فنحن في الحكاية الأولى (أصل الحكاية) نري من خلال "مري مون"، ثم تنتقل البؤرة مع كل شخصية يسلمها مري مون دفعة الحديث، فنري من خلالها نفس الأحداث بشكل مختلف أو مغاير وهكذا.

ليس ثمة تداخل بين هذه المستويات السردية إلا بين المستويين الثاني والثالث، أو بين الراوي الثاني (مري مون) والراوي الثالث (شخصيات القصة). ففي أحيان كثيرة يعتمد الراوي الثاني إلي قطع السرد أثناء حكايات الشخصيات المختلفة للأحداث، ربما ليبين شيئاً، أو يستفهم عن شيء، أو يعلق علي شيء. فمهمته أشبه بمهمة رواة الأحاديث أو المؤرخين الذين يدونون تاريخاً يستقونه من مصادره، أو الصحفي الذي يجري تحقيقاً صحفياً، لابد أن يكون محوره السؤال والاستفهام، أو الرحالة الذي يستمع ويشاهد ويندهش ويدون. كأن يقول في الفصل الخاص بالحكيم "أي": "ورغمًا عني وجدتني أسأله مقاطعاً لأول مرة: من شهد ذلك الاجتماع من رجال الملك؟"⁽¹⁾

أو في الفصل الخاص بالطبيب بنتو: "وسكت الطبيب بنتو وقتاً ينشد شيئاً من الراحة في خضم الذكريات المرهقة فتذكرت ما سمعت من أقوال متضاربة عن حياة إخناتون الجنسية، ورجحت ألا يعرض

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

الرجل لها، فسألته مدفوعاً بحب استطلاع لا يقاوم⁽¹⁾. أو كأن يقول مُلخصاً بعض الأحداث كما في الفصل الخاص بـ "حور محب": "ومضي يحكي لي في إسهاب كيف انقلبت الأمور في الداخل والخارج دون إضافة جديدة لما قاله الكاهن الأكبر لآمون أو الحكيم أي"⁽²⁾.

"وحدثني عن انقلاب الأحداث، فساد الموظفين، عذاب الناس، تمرد الإمبراطورية، تحرش الحثيين بالحدود، مصرع توشراتا"⁽³⁾.

"ومضي يسرد لي الحوادث التاريخية كما سمعتها من قبل، رحلة الأمير في الإمبراطورية، عودته، اعتقاله العرش"⁽⁴⁾.

أو كأن يقول مُفسراً بعض الأشياء ذات الدلالة علي شخصية المتحدث كما في الفصل الخاص بالمثال "بك"، يقطع السرد قائلاً: "وسكتَ مرغماً ليجتر حزنه المقيم علي رائعة حياته (مدينة أخت آتون) التي تهاوي ساعة بعد أخرى، وتفتت لتضيع في زحمة تراب الأرض، واحترمت سكوتة حتي خرج منه قائلاً:..."⁽⁵⁾.

أو في الفصل الخاص بالحكيم أي: "ولاذ أي بالصمت، وددت أن أسأله إن كان آمن بإله إخناتون. ولكني تذكرت وصية أبي فأمسكت. لقد ارتد في اللحظة الحرجة مع المرتدين وربما ظل إيمانه سراً إلي الأبد. واستأنف أي حديثه قائلاً:..."⁽⁶⁾.

أو في الفصل الخاص بكاهن آمون: "وسكت الكاهن الأكبر وكأنما ليتأمل أو ليتذكر ثم واصل حديثه قائلاً:..."، ثم بعد ذلك: "وقرأ الكاهن تساؤلاتي المحرقة فقال:..."⁽⁷⁾.

مري مون / نجيب محفوظ : الباحث عن الحقيقة:

والحق أن شخصية "مري مون" برغم كونها خارج حكاية "إخناتون" التاريخية التي تروها شخصيات القصة المختلفة؛ فإنها شخصية ذات أهمية بالغة، إذ تكاد تكون ناطقة بلسان الكاتب نفسه، أو متوحدة مع شخصية نجيب محفوظ، الباحثة عن حقيقة إخناتون.

لقد شكّل إخناتون/ الشخصية والمأساة والقيمة، لمحفوظ تحدياً كبيراً كان لابد أن يتجاوزه كتابةً (راجع ما قاله لرجاء النقاش عن إعجابه بهذه الشخصية) ولننظر في الجملة الأولى التي بدأت بها الرواية:

(1) السابق ص 116

(2) السابق ص 48

(3) السابق ص 49

(4) السابق الصفحة نفسها

(5) السابق ص 60

(6) السابق ص 25

(7) السابق ص 16

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

"ولدت الرغبة في أعقاب نظرة مفعمة بالإثارة".

إن هذه "الرغبة" التي ولدت عند "مري مون" بعد أن رأى "أخيت آتون" أو ما تبقى منها، هي رغبة الكاتب نفسه في أن يعرف حقيقة ذلك الفرعون المثير للجدل والأثير لديه. وهي رغبة ولدت في أعقاب نظرة قديمة ومتجددة من نجيب محفوظ لتاريخ إخناتون، وهي حقاً نظرة - بشهادة الكاتب - مفعمة بالإثارة.

وانظر إلي الوصف الذي يقدمه محفوظ/ مري مون للمدينة الغابرة:

"وذاً أصيل مررنا بمدينة غريبة. مدينة تطل من أركانها عظمة غابرة، ويزحف الفناء بهم علي جنباتها وأشياءها. مترامية بين النيل غرباً ومحراب الجبل شرقاً، متعرية الأشجار، خالية الطرقات، مغلقة الأبواب والنوافذ كالجفون المسدلة، لا تنبض بها حياة ولا تند عنها حركة، يجثم فوقها الصمت، وتخيم عليها الكآبة وتلوح في قسماتها أمارات الموت"⁽¹⁾.

هذا الوصف يمكن أن يكون وصفاً لإخناتون وتاريخه المشوه المتآكل. لقد ودَّ محفوظ لو أنه عاش بُعيد تلك الحقبة الزمنية أو فيها، ليشاهد حقيقة ما جري لهذا الفرعون الغريب. ولقد تحقق له ذلك - فنياً - من خلال "مري مون"

غير أن أهم ما في هذا التحدي هو الحقيقة الغائبة في قصة إخناتون .

إن التناقض الذي يحيط بهذه الشخصية، وتاريخها الذي يصل لحد التضارب، كما أشرنا ، يجعلها معادلاً موضوعياً لصعوبة البحث عن الحقيقة⁽²⁾. كما يجعلها دالة علي معني خطير أراد محفوظ أن يقوله من خلال هذه الرواية ومن خلال شكلها الفني الذي أشرنا إليه سالفاً؛ هذا المعني هو: أن للحقيقة وجوهاً كثيرة. وأن فشل مشروع إخناتون الديني والفكري كان من أسبابه إنكاره لذلك المبدأ بتوهمه امتلاك الحقيقة وحده.

ولقد كان الشكل الفني للرواية ملائماً جداً لقصة ذلك النموذج البشري الفريد في التاريخ الإنساني، إذ وضع محفوظ من خلال هذا الشكل مرايا متفرقة انعكست عليها شخصية إخناتون، فظهرت لنا هذه الشخصية من خلال تلك المرايا: مرةً في صورة مستوية ومرة في صورة محدبة وأخري في صورة مقعرة، ومرة رابعة في صورة منبعجة، ومرة خامسة في صورة مشوهة، وهكذا.

وأعتقد أن هذا لم يكن ليتحقق لو أن الكاتب روي الأحداث من منظور سردي واحد، علي نحو تقليدي .

(1) السابق ص 5

(2) ينظر في هذا: مقال فيصل دراج - مجلة فصول - مرجع سابق ص 245

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة
د. خالد عاشور

ولكي نعرف مدي معاناة الكاتب المتجسد في شخصية "مري مون" مع قضية "الحقيقة" المتخفية والمُقنَّعة والمستعصية دائماً، والتي تتضح أكثر ما تتضح في قصة هذا الفرعون؛ لكي نعرف ذلك فلننظر في التكرار اللافت لكلمة "الحقيقة" وما يتصل بحقلها الدلالي من ألفاظ ، عبر فصول الرواية، وعلي لسان الشخصيات :

ففي الفصل الأول المعنون بـ "أصل الحكاية" يقول "مري مون" بعد أن سأل أباه عن تلك المدينة الغابرة وأجابه عنها:

"هاهو قلبي الشاب يدق بعنف طامحاً لمعرفة كل شيء".

ثم يدور هذا الحوار بينهما :

- إن رغبة مقدسة تغزوني مثل ربح الشمال كي أعرف الحقيقة وأسجلها كما كنت تفعل في صدر شبابك يا أبي.

فرمقني أبي بعينيه الكليلتين وتساءل:

- ماذا تريد يا مري مون؟

- أريد أن أعرف كل شيء عن هذه المدينة وصاحبها، عن المأساة التي مزقت الوطن وضيعت الإمبراطورية.

فقال بجديّة :

- ولكنك سمعت كل شيء في المعبد.

فقلت بحماس:

- قال الحكيم قاقمنا: "لا تحكم في قضية حتي تسمع الطرقي"

-الحقيقة هنا واضحة فضلاً عن أن الطرف الآخر، المارق، قد مات...

فقلت بحماس متصاعد:

-أكثر الذين عاصروه مازلوا أحياء يا أبي، وجميعهم أقران لك وأصدقاء. فأني توصية منك لهم خليفة

بأن تفتح لي مغاليق الأبواب ومكنون الأسرار، بذلك أحيط بجوانب الحقيقة قبل أن يأتي عليها الزمن كما أتني علي المدينة".

ثم يقول له: "اخترت سبيلك بنفسك يا مري مون فاذهب في رعاية الآلهة، أجدادك ذهبوا للحرب أو السياسة أو التجارة أما أنت فتريد الحقيقة، وكلّ علي قدر همته، ولكن احذر أن تستفز صاحب سلطان أو تشمت بساقط في النسيان، كن كالتاريخ يفتح أذنيه لكل قائل ولا ينحاز لأحد ثم يُسلم الحقيقة ناصعة هبةً للمتأملين.

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

وسعدت جداً بالخلاص من الخمول والتوجه إلى تيار التاريخ الذي لا تُعرف له بداية ولن يتوقف عند نهاية، ويضيف كل ذي شأن إلى مجراه موجة مستمدة من حب الحقيقة الأبدية⁽¹⁾.

لقد رأينا هذا التكرار لكلمة "الحقيقة" وما يدور في معجمها من مفردات تتعلق بالمعرفة والبحث والأسرار والمغاليق والسمع والرغبة والحكم... إلخ

وهذا الملمح الأسلوبى يتكرر في كل فصول الرواية تقريباً، ولننظر:

"ما أعجب الحياة، إنها سماء تمطر تجارب متناقضة". (أي)

"لقد حطمتنا الجدران بما سجلت من أكاذيب ولكن الحقيقة يجب أن تسجل". (كاهن آمون)

"نحن نعرف كيف نصيد الحقيقة وإن امتنعت عن الكثيرين، لنا من السحر قوة، ومن العيون قوة". (كاهن آمون)

"ولم تتجشم هذا التعب؟"

فقلت ببساطة: لأعرف الحقيقة

فقال وهو يهز رأسه في أسي: حسن أن يوجد ولو فرد واحد من طلاب الحقيقة". (مري رع)

"لقد سمعت الكثير عنه وعني فاستمع الآن إلى صوت الحقيقة". (نفرتي)

"الخير لا يهزم، والشر لا ينتصر، ولكننا لا نشهد من الزمان إلا اللحظة العابرة، والعجز والموت يحولان بيننا وبين رؤية الحقيقة". (أي)

"سيُدلي كل رجل بما يؤكد أنه الحق، بينما ينطق عن هواه" (حور محب)

"لقد كشفت لك عن الحقيقة خالصة بلا تزويق ولا تشويه فسجلها في دفترك بأمانة، وأبلغ تحياتي والدك" (كاهن آمون)

"ستسمع عن ذلك أقوالاً متضاربة ولكن لا علم لأحد بأسرار القلوب" (أي)

وحين يتبدل المنظور السردى من "مري مون" إلى بقية شخصيات الرواية، نتعرف على الأحداث والمواقف والشخصيات من بؤرة مختلفة ومنظور مغاير، كلٌ حسب علاقته بإختاتون وموقفه منه، وبما يتفق مع طبيعة الشخصية التي نرى الأحداث من خلالها، ومع تكوين هذه الشخصية والمؤثرات الفاعلة في تشكيلها من بيئة ومهنة وتنشئة وغيره. ومن هن تنشأ نسبية الحقيقة وتقنعها.

وهذه هي المرايا التي تحدثنا عنها والتي استنطقها الكاتب عاكساً من خلالها صورة إختاتون التي هي ليست صورة واحدة بقدر ماهي صوراً متعددة.

(1) السابق ص 7

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

وهي صور سردية لا تعتمد إلى سرد قصة إخناتون بكامل تفاصيلها، وإنما تركز علي عدد من الحوادث التاريخية الأساسية في هذه القصة؛ مثل تفسير المذهب الديني، علاقته بأمه وأبيه وعلاقة ذلك بمسلكه الجنسي، سر تخلي نفرتيتي عنه في ختام حياته، تفسير النهاية الغامضة لحياته. وغير ذلك مما سنري.

كاهن آمون:

فمثلاً في الفصل الخاص بكاهن آمون نراه يركز في حديثه عن إخناتون علي الشذوذ الجسدي والخلقي بغرض تشويه صورته، فقد أزاحه إخناتون عن مجده وسلبه امتيازاته المادية والمعنوية: "أذهلهم بجسمه المتهافت وطابعه الأنثوي ووجهه المنفر وزوجته الجميلة الفاسقة" "وأحدثت رسالة الحب المؤنث آثارها فاستهتر المواطنون بواجباتهم واستغلوا الناس أبشع استغلال، وسري التمرد في أنحاء الإمبراطورية، واستهان بحدودها الأعداء، واستغاث بنا الأمراء المخلصون فأرسلت إليهم الأشعار بدلاً من الجيوش"

وشاهد هذا الشذوذ - من وجهة نظر الكاهن - هو علاقته غير السوية بأمه :

"ولشدة التصاقه بها شعر بوحدتها وآلامها فحنق علي أبيه حنقاً دعاه إلي الانتقام منه بعد موته فمحا اسمه من الآثار بحجة اقترانه باسم آمون، أما الحقيقة فهي أنه أعدمه بعد موته بعد أن عجز عن قتله في حياته. وقد لقنته أمه دين أتون التي آمنت به لأهداف سياسية ولكنه آمن به إيماناً حقيقياً نابذاً السياسة التي لم توافق طبيعته الأنثوية، ومنه مرق إلي الكفر وهو مالم تتوقعه أمه نفسها"⁽¹⁾.

الحكيم أي:

وفي الفصل الخاص بالحكيم أي نري لغة مختلفة، إذ ترق هذه اللغة وتسمو إلي آفاق رومانسية؛ فهو معلمه ومؤدبه الروحي. فكفره بآمون راجع للصدمة التي تلقاها وهو لما يزل غضباً بموت أخيه تحتمس: "بكي طويلاً، وكلما خطرت ذكرى بكي من جديد. وقال لي: كان يزور معبد آمون، ويتلقي الرقا والتعاويد ولكنه مات"⁽²⁾.

ويُبدى أي إعجابه الشديد بنجابة الصبي إخناتون وتفردته عن أقرانه وقوته الروحية: "وشد ما أدهشني بإدراكه ووجدانه. كان يفوق سنّه بأجيال. وساءلت نفسي أي صبي هذا؟! أجا معه من المجهول بأقباس من حكمة الغيب؟"

ويقدم تفسيراً لمذهبه الديني مختلفاً عما قاله كاهن آمون :

"كانت (تي) تحلم بأن يحل أتون محل آلهة الإمبراطورية باعتباره الشمس التي تنفث الحياة في كل مكان، فتؤلف بين رعاياها برابطة الدين القوية لا بدافع القوة وحدها. كانت ترمي إلي وضع الدين في خدمة السياسة من أجل مصر، ولكن ابنها آمن بالدين دون السياسة بخلاف ما قصدت، وأبت طبيعته أن يجعل الدين في

(1) السابق ص 13

(2) السابق ص 28

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

خدمة أي شيء وأن يجعل كل شيء في خدمة الدين. الأم طرحت سياستها عن وعي وتديبر ولكن الابن صدق وأمن وكرس حياته لرسالته حتي ضحي بوطنه وامبراطوريته وعرشه".⁽¹⁾

والتقييم النهائي لأي عن إخناتون به مسحة من ذلك السمو والتفرد الذي وصف به تلميذه: "ولقد جرّ في أمره ولكنني رفضت وما زلت أرفض ذلك الاتهام. لم يكن مجنوناً، ولكنه لم يكن أيضاً مثل سائر العقلاء، كان شيئاً بين هذا وذاك لم أعرف كنهه".⁽²⁾

حور محب:

وفي الفصل الخاص بحور محب نجد مشاعر متناقضة داخل القائد المحارب الذي لا يعرف إلا لغة القوة والحفاظ علي هيبة الدولة المهددة علي يد إخناتون، ولكنه يعترف بقوة روحية لا يستهان بها يمتلكها ذلك الصديق الحالم:

"فلزمني احترامه، أما باطني فقد احتقره، احتقرته لضعفه والأنوثة الضاربة في وجهه وجسده، ولم أتصور أن أكون له صديقاً حقيقياً... ربما لأنني عجزت عن مقاومة عواطفه الرقيقة المهدبة ذات السحر النافذ. كان ذا مقدرة عجيبة علي اصطياذ القلوب وأسر النفوس، ألم يهتف له الشعب وهو يدعو إلي الكفر بآلهة الآباء والأجداد؟"⁽³⁾

"ذلك الشاب المهزول، الذي يتجنب القصر ومهيم بالحديقة. المولع بالأزهار والغناء والطيور مثل فتاة مهذبة. لم لم يخلق أنثي؟ لقد همت الطبيعة بأن تفعل ذلك ولكنها عدلت عنه في اللحظة الأخيرة لسوء حظ مصر".⁽⁴⁾

"والحق أني تمنيت قتله دون أن أضمر له أي شعور بالكراهية"..."ولما ازدادت الحال سوءاً تمنيت مرة أخرى أن أقتله بسيفي وأنقذ البلاد من جنونه. تمنيت أن أقتله باسم الحب والولاء. وتبين لي أن ما حسبته قوة جبارة تنطلق من أعماق هيكله الضعيف ما هي إلا جنون أهوج يجب حصره وشكمه".⁽⁵⁾

ويقدم حور محب - لقربه منه - تفسيراً مختلفاً للمؤثرات الخارجية لثورة إخناتون:

"إنهم آمنوا بضعف إخناتون ولم يتصوروا به قدرة علي التحدي أو النضال أو الابتكار. من أجل ذلك اتهموا أمه تي بأنها خالقة أفكاره كما اتهموا نفرتيتي بأنها سر عناده وصلابته. وهي صورة خاطئة. لك أن تُدين الجميع ولكن لا شك أن جميع الخزعبلات قد خرجت من رأس إخناتون نفسه".⁽⁶⁾

(1) السابق ص 17

(2) السابق ص 30

(3) السابق ص 48

(4) السابق ص 49

(5) السابق ص 49

(6) السابق ص 50

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

المثال بك:

وفي الفصل الخاص بالمثال "بك" تطلعنا الرواية علي الجانب الفني في حياة إخناتون ونزوعه نحو التعبيرية في الفن مما أشرنا إليه سابقاً:
"وأصغ إليه وهو يقول لي: احذر تعاليم الفن التي يريد أن يكبلنا بها الأموات، اجعل حرك مثوي الحقيقة"⁽¹⁾.

ويقول لي أيضاً: "لقد خلق الإله الأشياء فلا تعبت بها، انقلها بأمانة، أبرزها بتقوي، لا تسلط عليها الخوف أو الشهوة أو الأمان الكاذبة، اعكس كل ما بي من نقص في الوجه والجسد ليتجلي جمالك في الحقيقة".

وتستنطق الرواية المثال "بك" سرّاً حار في تفسيره العلماء فتقدم علي لسانه أحد هذه التفاسير: "وإليك سرّاً لا يعرفه إلا الأقلون، فقد نحت لنفرتيتي تمثالاً نصفياً آية في الحقيقة والجمال، لعله يوجد الآن في القصر المهجور أو في قصر نفرتيتي، إن لم تكن انتقمت منه يد التخريب، وعندما هجرته الملكة بغتة مخلفة في قلبه طعنة لا تندمل طمس عين التمثال اليسري معرباً عن خيبة أمله مع الإبقاء علي بقية التمثال رمزاً لحب خالد، وإيمان راسخ لم يتزعزع إلا في لحظة يأس أخيرة"⁽²⁾.

تادوخيبا:

وفي الفصل الخاص بـ"تادوخيبا" زوجة أبيه التي ورثها بعده، يغلب علي حديثها طابع الأنثى الشابة التي مات زوجها العجوز وهي في ميعة الصبا، فأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة في جانبها الحسي هي المسيطرة عليها وعلي تفكيرها ونظرتها للأمور وتقييمها للأحداث .
فهذه هي نظرتها لولي العهد إخناتون: "أي مخلوق هزيل قبيح يثير الاحتقار أكثر مما يثير العطف". وعلاقتها بالملك الأب تختزلها في علاقتهما الجنسية التي رأي فيها كثيرون السبب في وفاته نظراً لفارق السن: "فاتمني الحاقدون بأنني المسئولة عن ذلك، والحق أنني قرأت النهاية القريبة في صفحة وجهه المتغضن منذ الليلة الأولى"⁽³⁾.

ولا حظ كلمة الليلة الأولى . فعلاقتهم تحسب بالليالي وليس شيئاً آخر .
وبعد وفاته تغتم لمآلها إلي إخناتون، كيف يرثها وهي لا تري فيه الفتى الذي تريد من ذات المنظور الذي تنظر به للرجال: "وقلت لنفسي إن الحياة مع أبيه العجوز أفضل، فهو عظيم ومرح وذو حيوية تناقض سنه

(1) السابق ص 60

(2) السابق ص 62

(3) السابق ص 66

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة

د. خالد عاشور

وصحته. وكثيراً ما كان الحديث يدور حول ولي العهد في الحريم، فنتندر بولعه بالفنون النسائية كالرسم والغناء، وعدم لياقته الواضحة لعرش، وزهده المريب في النساء⁽¹⁾.

وهي تقدم تفسيراً لثورته الدينية يتجانس مع طريقة تفكيرها، ففي إحدى أحاديثها مع بقية الحريم: "وتساءلت امرأة: لماذا لا يهتم بنا ويكف عن معاركة الدينية الوبيلة؟ فأجابها أخرى: لو كان يستطيع ما شغل نفسه بذلك الهراء"⁽²⁾.

أما نفرتيتي فتغار منها لأنها الوحيدة التي تماثلها في العمر، وتنافسها في الجمال، وحين تنبّه الملكة تي ابنها إلي واجبه نحو حريمه، وخاصة تادوخيبا ابنة الملك الصديق توشراتا، تنقم عليها نفرتيتي ويشعل غضبها. وحين يدعن الملك لإرادة أمه ليقوم بهذا "الواجب" تحكي تادوخيبا هذه التجربة بتفاصيلها وما تضمنته من حوار (هو الحوار الوحيد في الجزء الخاص بها) بينها وبين إخناتون ونتائجها المخيبة لها بالطبع: "ولم أبج بسر الليلة لأحد فظن النساء أن نفرتيتي قد خسرت نصف قلب الملك علي الأقل".

ولاحظ تكرار كلمة "الليلة"، و"سر"، و"واجبه".

وحقيقة نفرتيتي كما تراها تادوخيبا هي أنها جارتها فيما ذهب إليه من هوس ديني لتستأثر بالسلطة ولتشبع غريزتها الفاجرة بين أحضان الرجال:

"والحق الذي يؤمن به نساء القصر كافة أنه لم تقم بينهما علاقة زوجية علي الإطلاق، وما كان بوسعه أن يقيمها، ومارست حمها متعدد النزوات مع المثال بك والقائد حور محب والقائد ماي وغيرهم، ومنهم أنجبت بناتها الست"⁽³⁾.

أما علاقته بأمه فهي علاقة الشذوذ الجنسي: "بل قد تهامس بعض الجواري بأنه لم يمارس علاقة جنسية إلا مع أمه الملكة تي... وعُرف بيننا ذلك كحقيقة لا شك فيها، وعُرف أيضاً أنه أنجب منها بنتاً، إنه لم يستطع الجنس مع غيرها، وشهدت أكثر من جارية بأنها رأت الفعل رؤية العين، ولم يغيب ذلك عن نفرتيتي، وبسببه تبادلت المرأتان كراهية مريرة علي مدي العمر"⁽⁴⁾.

وحين نشب خلاف بين أمه ونفرتيتي عل إثر قدوم الملكة تي لأختاتون انقاداً لابنها اتهمتها نفرتيتي بأنها متواطئة مع أعداء العرش: "ولكن إخناتون حزن لذلك الاتهام ودافع عن أمه وعشيقته دفاعاً حاراً". وهو ما دفع نفرتيتي للاعتزال في رأي تادوخيبا.

إن القاموس اللغوي الذي يتردد في السرد الخاص بتادوخيبا يلفت النظر فعلاً لدورانه في تلك الدائرة التي أشرنا إليها. ولننظر إلي هذه المفردات: "عاشرت - الليلة الأولى - لم يقترب منا - الانحلال والشذوذ - لو كان

(1) السابق ص 68

(2) السابق ص 68

(3) السابق ص 71

(4) السابق ص 72

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

يستطيع - جمالي وشبابي - واجبه نحو حريمه - عارية تماماً - شبه عار - هل ترغب فيّ - سر الليلة - الشذوذ - الفسق - غريزتها الفاجرة - بين أحضان الرجال - الزوات - علاقة جنسية - الجنس - عاهرة - عشيقته" وهي تتحدث عن جانب واحد من انحلال الامبراطورية المصرية كنتيجة لما أقدم عليه إخناتون: "ولما عُرف أن الملك الأبله يعالج الخطايا بالحب لا العقاب انتشر الفسق بين الجنود والنساء، وأهدرت جميع القيم".

الطبيب بنتو:

وفي الفصل الخاص بالطبيب "بنتو" نجد حديثاً يغلب علي تفسيره للأحداث المنطق العلمي الطبي واللغة التي تدور في هذا الفلك:

فبعد أن يورد موقفاً ساء فيه إخناتون منظر أبيه وهو يلتهم الطعام، قال معلقاً: "كان ينفر من أصحاب الشهوات المسيطرة. وكنت أتصور أن سلامة الجسم هي أساس لسلامة الروح، فأثبت لي أن العكس صحيح أيضاً، وأن قوة الروح قد تمد الجسم الضعيف بقوة تفوق إمكاناته....وقلت لنفسي: إنه ليس نسمة من نسائم الربيع ولكنه عاصفة من عواصف الشتاء"⁽¹⁾.

ويحكي بنتو عن طلب الكاهن الأكبر أن يعاونهم في اغتياله بطريقة طبية ولكنه يرفض، ويأمر بمراقبة الطهارة، ولكن الأمور تزداد سوءاً ويشير إلي أنهم وجدوا طريقة أخرى حين يُكره علي مغادرة أختياتون ويُستبدل به طبيب آخر: "وغادرته متورم العينين من البكاء وأنا علي يقين من أن الطبيب المنتدب ليحل محلي سيزهق باغتياله أنبل روح حلت بجسد بشري"⁽²⁾.

ويقدم تفسيراً طبياً لانعزال نفرتيتي: "لم تصمد للضربات المنهالة فأصيبت بانهايار، فهربت بمرضها مغلوبة علي أمرها"⁽³⁾.

نفرتيتي:

أما الفصل الخاص بنفرتيتي فهو أطول فصول الرواية، ويرجع ذلك إلي الإعجاب الشديد الذي يُضمّره نجيب محفوظ/ مري مون لهذه الشخصية، وكأن الرواية كتبت عن نفرتيتي وليس إخناتون. فلم يخلُ فصل من الفصول دون ذكر نفرتيتي والإشارة إليها وإلي جمالها ودورها في هذه الثورة وتأثيرها علي إخناتون، وتفسير عزلتها وتخليها عنه في نهاية المأساة.

يقول مري مون وهو في طريقه للقائها :

⁽¹⁾السابق ص 116

⁽²⁾السابق ص 115

⁽³⁾السابق ص 17

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

"وكان الخريف يتوسط عمره، والفيضان محتفظاً بفيض من فتوته، والماء ضارباً إلي الاحمرار الداكن، فامتلاّت منه بحيرة القصر الصناعية (وهي أوصاف للطبيعة وكأنها أوصاف لنفرتيتي) خفق قلبي وأنا أقرب من ختام رحلتي، وكأنني لم أقم بمغامرتي المثيرة إلا من أجل لقاء هذه السيدة الوحيدة"⁽¹⁾.

وحين يمثل أمامها يقول: "فغضضت بصري المفتون بجمالها ولدت بالصمت".

تتلخص قصة نفرتيتي مع إخناتون كما تصورها الرواية في الجملة التالية التي وردت علي لسانها: "انجذبتُ إليه انجذاب الفراشة إلي النور. وتقرر مصيري بأن أكون الفراشة التي تنجذب إلي النور حتي يهلكها"⁽²⁾.

ولكن حديثها عن فرعون يفيض بالحب والمودة الخالصة، مشيدة بقوته التي ينفرد بها، وهي قوته الروحية:

"وفي تلك الفترة من حياتنا عرفت مدي قوة زوجي المستترة وراء ضعفه الجسدي، لمست صلابته روحه، وقوة تصميمه، وعنف شجاعته، وصموده أمام التحديات. قال لي مرة: إن أحجار الأهرام مجتمعة لا تستطيع أن تثني عن هدي"⁽³⁾.

"وقال لي ونحن ننتشي بذروة الفوز: عندما تتطهر الأنفس من أدرانها ستحظي الأذان جميعاً بسماع الصوت الإلهي ويعيشون في الحقيقة".

أما العجز الجنسي الذي رمى به إخناتون، فتدفعه نفرتيتي معللةً ذلك بأنه أعرض عن سواها لأنه كان موحداً في الحب كما كان موحداً في العقيدة.

وتقدم تفسيرها هي للسؤال الذي ظل يشغل مري مون طيلة رحلته عن سبب عزلتها وتخليها عن رفيق الحقيقة:

"وتساءلت في حيرة معذبة كيف أنقذ حبيبي من الموت؟ وخطر لي أنني إذا هجرته فلعل ثقته بنفسه تزعزع فيذعن لمشيئة رجاله، ويتنحي عن العرش. أجل سيؤمن بأنني خنته كالأخرين ولكنني لم أكن أملك وسيلة أخرى. هكذا أقدمت علي هجر حبيبي وقصري، فلذت بقصري الخاص في شمال أخيت آتون باكية العينين، دامية القلب"⁽⁴⁾.

(1) السابق ص 125

(2) السابق ص 127

(3) السابق ص 130

(4) السابق ص 132

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة د. خالد عاشور

خاتمة البحث:

إن هذه الرواية لا تقدم إجابة عن إختاتون بقدر ما تطرح أسئلة حوله. فالقضية الأساس في هذا العمل هي البحث عن الحقيقة. الباحث عن الحقيقة الذي هو نجيب محفوظ يكتب عن العائش في الحقيقة الذي هو إختاتون. ولكنها قدمت لنا الوجوه المتعددة للحقيقة في حياة ذلك الفرعون المثير. ولعل آخر سطور الرواية تجسد لنا رؤية الكاتب لما تبقي من إختاتون، فضلاً عن إثارة القضايا السابقة. فالذي تبقي من إختاتون هو فنه المتمثل في الأناشيد، وكذلك الجمال المتجسد في تلك السيدة الرائعة نفرتيتي، وذلك هو ما أخفاه مري مون عن أبيه نظراً للحظر الذي كان مفروضاً علي أي شيء يتعلق بـ "الفرعون المارق". لكن أما وأن العهد بُعد بيننا وبين ذلك الفرعون فلا بأس من أن نُصرح به الرواية علي لسان مري مون الذي هو نجيب محفوظ نفسه:

"ودعتها بكل إكبار، وانصرفت علي رغمي مفعم القلب بأريج الجمال الفاتن والذكريات الآسرة. ولما رجعت إلي المدينة إلي سايس استقبلني أبي بشوق، وراح يسألني عن رحلتي وأجيبه، وامتد الحوار بيننا أياماً وتشعب. وقلت له كل شيء تقريباً، ولكني أخفيت عنه أمرين: ولعي المتزايد بالأناشيد. وحي العميق لتلك السيدة الجميلة"⁽¹⁾.

مصادر الدراسة:

1. نجيب محفوظ - العائش في الحقيقة - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ
2. نجيب محفوظ - أمام العرش - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ
3. نجيب محفوظ - مجموعة "همس الجنون" - مكتبة مصر - القاهرة - بدون تاريخ
4. نجيب محفوظ - الحب فوق هضبة الهرم - مكتبة مصر - بدون تاريخ

مراجع الدراسة:

- (1) حمدي السكوت: دراسات في الأدب والنقد. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة 1990
- (2) جمال الغيطاني: نجيب محفوظ يتذكر - الطبعة الأولى - دار المسيرة - بيروت 1980
- (3) خالد عاشور: أقنعة نجيب محفوظ - سلسلة كتاب اليوم - القاهرة - 2011
- (4) رجاء النقاش: نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته. الطبعة الأولى. مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة 1998
- (5) عبد المحسن طه بدر: نجيب محفوظ. الرؤية والأداة. دار المعارف. القاهرة - د.ت
- (6) علي شلش: نجيب محفوظ الطريق والصدى. كتاب الثقافة الجديدة. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. ديسمبر 1993

(1) السابق ص 157

نجيب محفوظ: الباحث عن الحقيقة في العائش في الحقيقة
د. خالد عاشور

(7) فيصل دراج: لماذا عاد نجيب محفوظ إلى إخناتون بعد أربعين عامًا؟ مجلة فصول – المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة – العدد الرابع ديسمبر 2011

a. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية – مكتبة لبنان – الطبعة الأولى 2002

(8) د. أحمد بدوي: في موكب الشمس. الجزء الثاني – الطبعة الأولى – القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1950

Hamdi Saklut: The Egyptian Novel and its main trends 1913-1952 (Cairo – American University Press, 1971)

Weigall, Arthur Edward Pearse: A short history of ancient Egypt, London, 1934